

مواقف الحج في التراث العربي القديم

د. عبد الغني زيتوني

لا ريب في أن معظم العرب الجاهليين قبل الإسلام كانوا يعظمون بيت الله الحرام بمكة، ويحجون إليه في شهر محدد وفي أيام معلومات. وقد انتقلت إليهم مناسك الحج ومشاعره من الديانة التوحيدية التي دعا إليها إبراهيم عليه السلام، وعلى الرغم من أن تلك المناسك والمشاعر قد دخلها ما دخلها من آثار الشرك والمشركين فإنهم ظلوا متمسكين بأكثر سننها ومراعيين حرمتها، وخاصة في الوقوف على عرفات والمزدلفة ومنى، وقضاء ما عليهم فيها من نُسك وشعائر.

وكان من أراد منهم الحج، وتوجه إلى المواقف تزيياً بزّي خاص يكون إشعاراً للآخرين بأنه أحرم للحج. ولا يُعرف تماماً الثياب التي كان يرتديها الحجاج، إلا أنه من المؤكد أنهم كانوا يرتدون ثياباً معينة حين يقصدون المواقف، وبدل على ذلك ما أورده الجاحظ حين قال: «كانت سيما أهل الحرم إذا خرجوا إلى الحلّ في غير الأشهر الحرم، أن يتقلّدوا القلائد ويعلقوا العلائق، فإذا أوجب أحدهم الحج تزيياً بزّي الحاج»^(١).

عرفات

أما الحج عند العرب الجاهليين فكان يبدأ بوقوفهم في عرفات وتجمعهم هناك أصيل اليوم التاسع من ذي الحجة، حيث يظل الحجاج طوال ذلك النهار يلبّون متعبدين.

وسبب تسمية (عرفات) بهذا الاسم لم يُتفق عليه، فتعددت أقوال العلماء فيه، ولعل أبرزها هو ما ورد من أنها سميت بعرفات لأن الناس يعترفون بذنوبهم في ذلك الموقف^(٢).

وقد وردت الإشارة إلى عرفات في عبارات عدة مشتقة منها، فمن ذلك أن أوس بن مَعْرَاء السَّعْدِيّ ذكر «التعريف»، وهو يريد عرفات، في قوله^(٣):

ولا يريمون في التَّعْرِيفِ موقِفَهُمْ حتى يُقالَ أفيضوا آلَ صَفْوَانَا

وقد وردت العبارة نفسها في تلبية كنانة التي كانت تقول فيها^(٤):

لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ

اليوم يومُ التَّعْرِيفِ يومُ الدَّعَا والوقوفِ

كما أُطلق على عرفات لفظ «المُعَرَّف»، أيضا، وذلك في مثل قول شاعر من هوازن قام بعكاظ مفتخرًا بما فعله الأحمر بن مازن الهوازني حين قطع رجل أحد أفراد بني مُدْرِكَةَ بنِ خَنْدَفٍ^(٥):

نحن ضربنا ركبَةَ المَخْنَدِفِ إذ مَدَّهَا في أشهرِ المَعْرِفِ

وقد اشتق أيضا من عرفات أو عرفة فعل «عَرَفَ»، فيقال: عَرَفَ الناسُ إذا شهدوا عرفات عند الحج، وشاهد ذلك قول عبيد بن عبد العزى السَّلامِيّ^(٦):

وقد حلفتُ والسُّرَّ بيني وبينها بربِّ حجيجٍ قد أهلوا وعرفوا
 وفضلاً عن ذلك فقد وردت تسمية عرفات بالمشعر الأقصى عند أبي طالب
 عم الرسول - ﷺ - في قصيدته المشهورة^(٧):
 وبالمشعر الأقصى إذا عمدوا له إلالٌ إلى مُفضَى الشُّراج القوابل
 - المنازل :

إن الباحث في المصادر القديمة يجدها تشير إلى أن القبائل العربية في حجتها
 ووقوفها بعرفات لم تكن تقف كلها في مكان واحد، وإنما خصَّص لكل قبيلة
 موقف محدد تقف فيه، ولا تتجاوزه إلى موقف قبيلة أخرى.

وقد استمرت هذه المواقف حتى بعد فتح مكة، إذ روي أنه: «أقيم الحج في
 سنة ثمان للهجرة، فوقف المسلمون على مواقفهم، وسائر الناس على شركهم
 وقفوا على منازلهم في الحج التي كانوا عليها في الجاهلية. وأقام الحج سنة تسع
 أبو بكر الصديق، وحجَّ المشركون على مواقفهم في الجاهلية»^(٨).

بيد أننا لا نعرف تفصيلات واضحة عن أسماء تلك المنازل التي كانت تنزلها
 كل قبيلة، وأكبر ظننا أن توحيدها في الإسلام هو الذي طمس ذكرها. ومع
 ذلك فقد ذُكر اسم موقف لقبيلة ربيعة يُدعى «نُفْعَة» ليس لهم غيره، في شعر
 عمرو بن قميئة، حين قال^(٩):

ومنزلة بالحجِّ أخرى عرفتها لها، نُفْعَة، لا يُستطاع بُروحها

هذا عن منازل القبائل التي تفد من أمكنة نائية. أما أهل مكة، وقريش
 خاصة فإنهم لم يكونوا يقفون بعرفات كسائر العرب، وإنما كانوا يلزمون أنصاب
 الحرم، قرب المزدلفة في مكان يُدعى «نَمْرَة»، وسبب ذلك أنهم كانوا يميزون

أنفسهم من باقي العرب لأنهم حمسٌ، ولا حاجة لهم إلى النزول بعرفات .

ولكن ما المراد بالحمس؟ ومن أين أتوا بهذا الاسم؟

لعل ما يفسر ذلك ما ورد من أن قريشاً وأهل مكة كانوا يقولون: «نحن بنو إبراهيم وأهل الحرمه، وولادة البيت، وقُطان مكة وساكنوها، فليس لأحد من العرب مثل حقنا، ولا مثل منزلتنا، ولا يعرف له العرب مثل ما تعرف لنا، فلا تعظّموا شيئاً من الحلِّ كما تعظّمون الحرم، فإنكم إن فعلتم ذلك استخفّت العرب بحرمتكم . . . وقالوا: نحن أهل الحرم فليس ينبغي لنا أن نخرج من الحرمه، ولا نعظّم غيرها كما نعظّمها، نحن الحمس»^(١٠).

وقد ورد أيضاً أن الحمس أهل مكة: قريش وخزاعة ومن دان بدينهم ممن ولدوا من حلفائهم، وإن كان من ساكني الحل^(١١). ويرجح أنهم دعوا حمساً لتشددهم على أنفسهم في دينهم^(١٢)، ذلك أن الحمس جمع أحمس وحمس، من حمس، أي اشتدَّ وصلب في الدين والقتال^(١٣).

وأهم الأمور التي ابتدعها الحمس أنهم - في الحج - تركوا الوقوف بعرفة والإفاضة منها؛ وهم يعرفون ويقرونها من المشاعر والحج ودين إبراهيم، ويرون لسائر العرب أن يقفوا عليها، وأن يفيضوا منها. إلا أنهم قالوا: نحن الحمس أهل الحرم، فليس لنا أن نخرج من الحرم، ولا نعظّم غيره^(١٤). وإذا وقف الناس على عرفة جعل الحمس موقفهم في طرف الحرم، يقفون به عشية عرفة، ويفيضون منه إلى المزدلفة^(١٥)، كما سنرى في الإفاضة.

وعلى ذلك فإن الحمس لم ينكروا الوقوف على عرفات، وإنما كانوا يعترفون أنها من شعائر إبراهيم، بل هي أهم شعائر الحج، لكنهم اجتهدوا في ديانتهم وابتدعوا ذلك الرأي الذي رأوه وأداروه.

-إلال :

من المسلم به في الروايات العربية القديمة أن الموقف العظيم للحجاج بعرفات لم يكن يمثله أي موقف يقفه الجاهليون المشركون، سواء أكان ذلك عند أصنامهم الكبرى أم عند بيوتهم المقدسة الأخرى. وقد حفل به الشعر الجاهلي في مواضع عدة منه، وكان الشعراء أكثر ما يذكرونه في مجال القسم أو التعظيم، وغالبا ما كانوا يذكرون جبلاً بعرفات، هو جبل «إلال»، ويقصدون به عرفات كلها^(١٦).

وأية ذلك أن النابغة الذبياني لم يجد قسماً أعظم من القسم بأولئك الحجاج الذين يقدمون من قلب الجزيرة العربية قاصدين عرفات، وهم يمتطون إبلهم يحثونها على الإسراع، كي لا يفوتهم الموقف العظيم، وإذا هم حينها يقتربون منها يرفعون أصواتهم ملبين خاشعين، قد اغبرت شعورهم ووجوههم، وأنهكت أجسامهم، كما أنهكت إبلهم، لكنهم يبدون غير آبهين بما أصابهم، لأن هدفهم قضاء مناسكهم الدينية، وغايتهم إرضاء الإله عنهم^(١٧):

وهل يَأْتَمَنُ ذُو أُمَّةٍ وَهُوَ طَائِعٌ	حلفتُ فلم أترك لنفك ربيّةً
يـزرن إلاّ سيرهن تدافع	بمصطحبات من لَصَافٍ وَثَبْرَةٍ
فهن كآرام الصرّيم خواضعُ	عليهن شعث عامدون لبرّهم
وميزانه في سورة البرّ مانع	إلى خير دين نُسكُهُ قد علمتُهُ

وقد أشار النابغة إلى «إلال» أيضاً في موضع آخر من شعره واصفاً مشهد الحجيج وهم على عرفات يجارون بالتلبية والدعاء؛ وذلك في مديحه للنعمان بن المنذر واعتذاره منه: ^(١٨)

ومما رفع الحجيجُ إلى إلال	فلا لَعَمْرُ الَّذِي أَتْنِي عَلَيْهِ
وكيف، ومن عطائكُ جلُّ مالي	لما أغفلتُ شكركَ فاصطنعني

ولم يفت الطفيل الغنوي موقفُ الحجاج هذا؛ فأورده في شعره مصوراً
الحجاج على الإبل، وهم محرمون قد اغبرت شعورهم وتشعثت، رافعين أصواتهم
بالتلبية والدعاء (١٩):

يـزرن إلا لا يُنحبنَ غيره بكل ملبٍ أشعث الرأسِ محرمٍ
وكذلك ورد ذكر الحجاج وهم بعرفات على «إلال» في القصيدة اللامية
المشهورة لأبي طالب عم الرسول - ﷺ - (٢٠):

أعوذ برب الناس من كل طاعنٍ علينا بسوء أو ملحٍ بباطلٍ
ومن حج بيت الله من كل راكبٍ ومن كل ذي نذرٍ ومن كل راجلٍ
وبالمشعر الأقصى إذا عمدوا له إلالٌ إلى مفضى الشراج القوابلِ

كما أقسم شاعر عامري بموقف عرفات ذاكراً «الإلاك» أيضاً الذي يتوزع عليه
الحجاج في ذلك الموقف بعد أن أقسم بالله الذي يتسكك إليه الناس في ذلك
المقام (٢١):

فأقسمُ بالذي حجَّت قريشُ وموقفِ ذي الحججِ إلى إلالِ

-الإفاضة:

إن شعائر الحج لدى العرب الجاهليين كانت تنص على أن يوم عرفة ينتهي
حينما تطفل الشمس للغروب، ولا يبقى منها إلا أشعة على أعالي الجبال،
فحينذاك يهي الحجاج رواحلهم، وينطلقون مندفعين إلى المزدلفة. وقد وصف
ذلك أبو طالب في القصيدة السابقة نفسها (٢٢):

وتوقافهم فوق الجبالِ عشية يقيمون بالأيدي صدورَ الرواحلِ

ويُسمى الانتقال السريع من عرفة إلى المزدلفة ثم إلى منى بالإفاضة أو

الإجازة، ولم تكن إفاضة الحجاج عشوائية غير منظمة؛ إذ أشارت كثير من الروايات إلى أن أفراداً معينين كانوا يميزون بالحجاج، ولم يكن يدفع أحد منهم إلا إذا دفع هؤلاء أمامهم.

جاء في «السيرة»: «كان الغوث بن مر بن أد يلي الإجازة للناس بالحج من عرفة، وولده من بعده، وكان يقال له ولولده صوفة» (٢٣). وورد أن الغوث بن مر كان إذا دفع الناس قال (٢٤):

لأهْمُ إني تابعُ تَبَاعَةٍ إن كان إثمٌ فعلى قُضَاعَةٍ

وقد ظلت الإجازة من عرفات في صوفة وأقربائهم آل صفوان من بعدهم، وكان آخرهم الذي قام عليه الإسلام كُربُ بن صفوان، وإليهم يشير أوس بن مغراء السعدي، موضحاً أن الحجاج لم يكونوا يدفعون من عرفة إلا إذا أجاز بهم أحد من آل صفوان (٢٥):

لا يبرحُ الناسُ، ما حجوا، مُعَرَّفُهُمْ حتى يُقال: أجزوا آل صفوانا

وأورد ابن قتيبة لأوس بن مغراء بيتين من الشعر في المعنى نفسه (٢٦):

ولا يريمون في التعريف موقفهم حتى يُقال: أفيضوا آل صفوانا

مجداً بنياه لنا قدماً أوائلنا وأورثوه طوال الدهر أحرانا

وأغلب الظن أن إسراع الحجيج حين إفاضتهم من عرفات إلى المزدلفة كان يعود إلى رغبتهم في الوصول إليها قبل أن يخيم الظلام، وتشتد حلكته؛ مما قد يؤدي إلى عرقلة ذلك الحشد الكبير من المطايا بحجاجها، ويبدو أن ذلك الإسراع قد استمر حتى الإسلام، فقد ورد في الحديث الشريف عن ابن عباس أنه: «قد دفع مع النبي - ﷺ - يوم عرفة، فسمع الرسول - ﷺ - وراءه زجراً

شديداً وضرباً وصوتاً للإبل، فأشار بسوطه إليها، وقال: أيها الناس، عليكم بالسكينة، فإن البر ليس بالإيضاع» (٢٧).

وثمة نار كانت توقد على جبل فزح بالمزدلفة أيام الحج، ولعل إيقادها إنما كان ليهتدي بها الحجاج المندفعون من عرفة قبل أن يدركهم الظلام، ويتعذر عليهم أخذ أمكنتهم بالمزدلفة؛ وقيل إن أول من أوقدها هو قُصي بن كلاب، فاستمرت على ذلك حتى الإسلام (٢٨).

وإذا كان أكثر الحجاج العرب يفيضون من عرفات إلى المزدلفة فإن قريشاً وأهل مكة - وهم الحمس - لم يكونوا يدفعون مع الناس، وإنما كانوا - كما سبقت الإشارة - يقفون بموضع «نمرة» في طرف الحرم، ويدفعون منه إلى المزدلفة (٢٩)، وظل ذلك الأمر إلى الإسلام، فنزلت الآية في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَكْأَصُ النَّكَاسِ...﴾ الآية (٣٠) أمره الحمس أن يفيضوا مع سائر الناس على عرفة وأن يفيضوا معهم (٣١).

ولا ريب في أن الإسلام قد عظم الوقوف على عرفات، وعده أهم مشاعر الحج، ووصفه القرآن الكريم بالحج الأكبر، وذلك في قوله تعالى ﴿وَأَذِّنْ لِلَّهِ وِرْسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ (٣٢). وكذلك نوه التنزيل المحكم بهذا الموقف في موضع آخر منه داعياً الحجاج عند إفاضتهم من عرفات إلى المزدلفة أن يسبحوا الله، ويبتهلوا إليه، ويذكروه ذكراً كثيراً، ولا يلهجوا بذكر سواه، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ (٣٣).
وفضلاً عن ذلك فقد ورد عن الرسول - ﷺ - أنه قال: «الحج عرفات - ثلاثاً - فمن أدرك عرفة قبل أن يطلع الفجر فقد أدرك» (٣٤).

المزدلفة

بعد الإفاضة من عرفات كان الحجاج الجاهليون يجتمعون كلهم بالمزدلفة التي تقع بين عرفات ومنى على منتصف الطريق تقريباً، ولا يتخلف أهل مكة أو الحُمس عن الانضمام إلى بقية العرب في ذلك الموقف، فيبيتون جميعاً معظم ليلتهم، ليلة العاشر من ذي الحجة.

أما معنى المزدلفة فقد وردت أقوال عدة فيه، فقيل: سُميت بذلك لأنها منقولة من الازدلاف وهو الاجتماع. وقيل: الازدلاف: الاقتراب؛ لأنها مقربة من الله^(٣٥). ويبدو أن معنيي الاجتماع والاقتراب معاً هما الأرجح في التسمية، إذ إن الاقتراب يؤدي إلى الاجتماع.

ومن الجدير بالاهتمام أن النصوص القديمة التي ذكرت المزدلفة أطلقت عليها اسم «جمع» مما يؤكد أن معنى الاجتماع هو الدافع إلى تسميتها المزدلفة؛ فقد ورد أنها سميت جمعاً لاجتماع الناس بها^(٣٦). كما سميت أيضاً المشعر الحرام على نحو ما ورد في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَفْضَيْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ...﴾ الآية^(٣٧)، وجاء في تفسير الآية: «وإنما سميت المزدلفة المشعر الحرام لأنها داخل الحرم»^(٣٨).

وإذا عدنا إلى مبيت الحجاج بالمزدلفة فإننا نجدهم يقفون على جبل فُزح في العكس قبل شروق الشمس، وهم يلبسون ويجارون بالدعاء والابتهاال ومختلف التلبيات منتظرين إشراق الشمس. وكان بعضهم يستعجل ذلك الإشراق، فيخاطب جبل ثبير الذي تخرج من خلفه الشمس قائلاً: «أشرق ثبير. كيما نُغير» أي: أشرق بالشمس حتى تدفع من المزدلفة^(٣٩).

ولا يزال الحجاج في موقفهم ذاك حتى تشرق الشمس ، وتصير على رؤوس
الجبال كأنها عمائم الرجال ، فعندئذ يدفعون دفعاً سريعاً قاصدين منى . وقد
خالف المسلمون المشركين في وقت الإفاضة ، فكانوا يدفعون من عرفة بعد غروب
الشمس ، ويدفعون من المزدلفة قبل طلوع الشمس^(٤٠) .

وأية ذلك ما ورد في حديث الإفاضة من المزدلفة عن عمر بن الخطاب أنه
قال : «إن المشركين كانوا لا يفيضون حتى تطلع الشمس ، ويقولون : أشرق ثبير .
وإن النبي - ﷺ - خالفهم ، ثم أفاض قبل أن تطلع الشمس»^(٤١) .

- الإفاضة إلى منى :

لم يخجل الشعر الجاهلي من الإشارة إلى المزدلفة والإفاضة منها إلى منى على نحو
ما نجده في شعر أبي ذؤيب الهذلي من ذكر لميبت الحجاج بالمزدلفة ثم انتقالهم إلى
منى ، وذلك من خلال وصفه لحاج يقضي مناسكه سريعاً لينتقل إلى شراء
العسل^(٤٢) :

فبات بجمع ثم تم إلى منى فأصبح راداً بيتغي المزج بالسحل

وكذلك ورد الوقوف عند جمع أو المزدلفة ليلاً ثم الإفاضة منها إلى منى في شعر
أبي طالب ، حين أقسم بالمشاعر الحرم ، مصوراً اندفاع الإبل والحيل بالحجاج
عليها اندفاعاً سريعاً ، وكأنها تهرب من وقع مطر ينصب انصباباً شديداً^(٤٣) :

وليلة جمع والمنازل من منى وهل فوقها من حرمة ومنازل
وجمع إذا ما المقربات أجزته سراعاً كما يخرجن من وقع وإبل

ومن المرجح أن يكون بالمزدلفة أيضاً منازل تنزها القبائل ، لأن الشعر السابق يشير إلى منازل منى ، ولعله أراد الأماكن التي تنزها كل قبيلة وتخص نفسها بها ، مما يدفع إلى الاعتقاد بأن كل قبيلة منذ وقوفها على عرفة يلزم أفرادها بعضهم بعضاً ، فإذا دفعوا إلى المزدلفة وقفوا في مكان معروف لهم ، وكذلك شأنهم إذا انتقلوا إلى منى .

أما سبب إسرعهم في الإفاضة من المزدلفة إلى منى فلا يُعرف تماماً ، وربما كان لرغبتهم في أخذ أمكتتهم قبل الآخرين ، أو ربما كان لرغبتهم في التعجيل بالنحر بمنى ، ثم إحلال الإحرام والعودة إلى الديار .

- إجازة صوفة وعدوان :

إذا كانت الإفاضة من عرفات منتظمة يقودها أفراد معروفون ، فإن الإفاضة من المزدلفة لم تكن تصح لدى الحجاج إلا إذا أجاز بهم المكلفون هذا الأمر .

وقد ورد أن الإفاضة كانت في صوفة وأقربائهم يميزون الناس هنا كما يميزونهم من عرفات^(٤٤) ، بيد أن ثمة روايات أخرى تشير إلى أن الإجازة من المزدلفة كانت في عدوان يتوارثونها كابراً عن كابر ، وفي ذلك يقول ذو الإصبع العدواني في معرض ذكره لاختلاف قومه وتفرقهم بعد أن كانوا في عزة ومهابة وقوة ، وبعد أن كان الحجاج يجعلونهم القدوة في الإجازة وقضاء المناسك^(٤٥) :

عذير الحي من عدوا	نَ كَانُوا حَيَّةَ الْأَرْضِ
بغى بعضهم ظلماً	فَلَمْ يُزْرَعِ عَلَى بَعْضِ
ومنهم كانت السادا	تُ وَالْمُوفُونَ بِالْقَرَضِ
ومنهم من يميز النسا	سَ بِالسُّنَّةِ وَالْقَرَضِ
ومنهم حكهم يقضي	فَلَا يُنْقَضُ مَا يُقْضَى

وكان آخرهم الذي قام عليه الإسلام أبو سيارة عُمَيْلَةُ بن الأعزل وفيه يقول
راجز من العرب^(٤٦):

نحن دفعنا عن أبي سيارة
وعن مواليه بني فزارة
حتى أجاز سالماً حمارة
مُستقبِلَ القبلة يدعو جارة

ويفهم من هذه الأبيات أن الحجاج العرب كانوا يتجمعون مزدحمين حول من
يمييز بهم، ولعلمهم كانوا يفعلون ذلك بغية الإسراع في تلقي إشارة البدء
بالإفاضة.

ويروى أن أبا سيارة هذا قد دفع من المزدلفة إلى منى أربعين سنة على حمار له،
ولم يعتل الحمار في ذلك، حتى أدركه الإسلام، فكانت العرب تتمثل به،
فتقول: «أصح من غير أبي سيارة»، وفيه يقول الراجز بما يشبه الأبيات
السابقة^(٤٧):

نحن دفعنا عن أبي سيارة
حتى أفاض محرماً حمارة
مُستقبِلَ القبلة يدعو جارة

ويمكننا أن نوفق بين الرواية التي تنص على أن الإفاضة كانت في صوفة
وأقربائهم من بعدهم حتى الإسلام، وبين الرواية التي تنص على أنها كانت في
عدوان حتى الإسلام أيضاً بأن صوفة وأقرباءهم كانوا يمييزون بقسم من العرب،
وأن عدوان كانت تمييز بقسم آخر، ويبدو أن إجازة عدوان كانت خاصة
بالإفاضة من المزدلفة، أما إجازة صوفة فكانت في الإفاضة عامة من عرفة
والمزدلفة ومنى.

ومهما يكن من الأمر فإن الإفاضة على تلك الشاكلة المنظمة كانت تحد من

فوضى اندفاع الحجيج في غير وقت محدد، كما أنها تشير إلى أن الحجاج كانوا يقتدون بمن يميزون بهم، ويعدون ذلك إتماماً لشعائهم ومناسكهم في الحج.

- منى:

عند إشراق شمس اليوم العاشر من ذي الحجة وإفاضة الحجاج من المزدلفة إلى منى التي تقع في درج الوادي قرب مكة يكونون قد انتهوا إلى آخر مواقف الحج حيث إنهم بعد أن ينهوا مناسكهم فيها يحلُّ معظمهم إحرامه، وينهي حجه، ويعود إلى دياره.

أما سبب تسمية هذا الموقف بمنى فلم يتفق فيه على قول واحد، شأن الموقفين السابقين، بيد أن أرجح الأقوال في هذا المجال ما ورد من أنها سُميت بمنى لما يُمنى فيها من الدماء - أي: يراق (٤٨) - ذلك أن الهدي الذي يجلبه الحجاج معهم ينحر جميعاً هناك تقربة إلى الله رب البيت الحرام.

وقد حفل الشعر الجاهلي بإشارات عدة إلى منى ينطوي معظمها على صورة الحجاج، وهم يسارعون للوصول إلى منى وقضاء ما عليهم من شعائر فيها. فمن الشعراء الذين ذكروا ذلك الموقف العظيم ظويلم بن حريم الذبياني الذي كان يريد الحج فنزل على المغيرة بن عبد الله المخزومي، فأراد هذا أن يأخذ منه ما كانت تأخذه قريش ممن ينزل بها، وتسميه «الحريم»، فمنعه ظويلم من ذلك، وقال رجزاً يستجير فيه بحرمة منى وما يجاورها (٤٩):

يا ربُّ هل عندك من غفيرةٍ إن منى مانعةٌ المغيرةُ
ومانعٌ بعد منى ثبيرةٌ وممانعي ربي أن أزورةُ

وكان الشعراء أكثر ما يذكرون منى في معرض القسم والتعظيم واصفين إسراع الإبل بحجاجها، وما جلبوه معهم من هدي لنحره فيها على نحو ما نجده في

قسم نهيكة الفزاري بالإبل وحجاجها إنهم كادوا يفتكون بعامر بن الطفيل ،
وذلك في قوله (٥٠):

يا عام لو قَدَرْتُ عليك رماحنا والرأقصات إلى منى فالغنبغ
لَتَقَيْتُ بِالوَجْعَاءِ طعنةً فاتك مُرَّانَ أَوْ لَتَسَوَيْتَ غَيْرَ مُحْسَبٍ

ومن هذا القبيل أيضاً ما أقسم به الأعشى في شعره من يمين غليظة برب
الحجاج الذين يأتون إلى منى على إبل سريعة تقطع الفيافي والجبال من غير تعب
ولا نصب (٥١):

حلفتُ بربِّ الرأقصات إلى منى إذا مخرمٌ جاوَزَتْهُ بُعدَ مخرمٍ

وكذلك أقسم طرفة بن العبد برب الإبل التي تقصد مكة ، وبها عليها من
حجاج ذاكراً الأيام التي يقضون فيها مناسكهم بعرفة والمزدلفة ومنى (٥٢):

حلفتُ بربِّ الرأقصات إلى منى يُبارِئُنَ أيامَ المَشَاعِرِ والنَّهْضِ

وقد اهتم بعض الشعراء بالهدى الذي يجلبه الحجاج معهم ، وبما يقلدونه من
قلائد تدل على إهدائه وتقدمته للنحر في منى ، فصوروا ذلك في أشعارهم ،
فضلاً عن تصويرهم مشهد الإبل السريعة من خلال تعظيمهم وقسمهم بها
وبحجاجها ، كما نتبين ذلك في قول جيبه بنته عبد العزى (٥٣):

إني وربُّ الرأقصات إلى منى بجنوبِ مكَّةَ هَدِيْنُ مُمَلَّدُ

وكان الحجاج يسارعون لهدى وصورهم إلى منى ، إلى نحر ما جلبوه معهم من
الهدى ، فكانوا يبدؤون ذلك منذ الصباح ، ويستمررون عليه إلى أن تميل الشمس
نحو المغرب . وقد صور لنا ما يفعله الحجاج هناك شأس بن عبدة ، واصفا ما
يسيل من دماء غزيرة مصدرها الإبل والسوام التي قلدت قلائد مختلفة علامة
على إهدائها (٥٤):

حلفتُ بها ضمَّ الحجاجُ إلى منى وما تُجَّ من نحرِ الهدى المُقلِّدِ
 ويكون ذبيح الهدى علامةً لحلِّ إحرام الحجاج، وإشارةً إلى أنهم أتموا الحج،
 ولذلك قال عبد الله بن العجلان النهديّ موضحاً ما يُقدِّم للأنصاب من عتاتر،
 وما يُقدِّم في منى من هديّ تقرباً إلى الله وإحلالاً لإحرام الحجاج (٥٥):

والعتر عتر النَّسيكِ بِخَفْرٍ بِالْـ بُدْنَ لِحْلِ الْإِحْرَامِ، وَالنُّصْبِ

الجمار :

هل تنتهي شعائر الحج بانتهاء نحر الهدى؟ وهل ينفض الحجاج عاتدين إلى
 ديارهم بعد ذلك؟

إن الروايات العربية والأشعار الجاهلية تؤكد أن ثمة أمراً آخر كان يقضيه
 المتعبدون هناك، وهو رمي الجمرات، وهي بمنى ثلاث: الجمرة الأولى،
 والجمرة الوسطى، وجمرة العقبة (٥٦)، فكان الحجاج يرمونها بالحصيات، ولذلك
 سُمي ذلك المكان بالمُحَصَّبِ والجمار (٥٧). وورد أن الجمار التجمَّع
 والجماعة (٥٨)؛ وعلى ذلك جاء قول الأعشى ذاكرة الجمار بمعنى الجماعة (٥٩):

فَمَنْ مَبْلُغٌ وَأَثْلًا قَوْمِنَا وَأَعْنِي بِذَلِكَ بِكُورًا جَمَارًا

وتنص الأخبار والروايات العربية على أن رمي الجمار كان من شعائر ديانة
 إبراهيم عليه السلام، وعلى أنه كان يرمي كل جمرة بسبع حصيات، بادئا بجمرة
 العقبة، ومنتهايا بالجمرة الأولى أو السفلى، وكانت الغاية من ذلك الرمي رجم
 إبليس الغوي الذي ظهر لإبراهيم الخليل عند تلك الجمرات الثلاث (٦٠)، ثم
 خلفت الخلوف بعد ذلك العهد، فأنحرفوا عن الديانة التوحيدية فأشركوا الله
 تعالى بالأصنام حتى إذا أتينا إلى العصر الجاهلي وجدنا مظاهر الشرك تنتشر في
 مواقف الحج أيضاً، فقد ورد أن أنصاباً كانت في منى يعترفون عندها العتائر

قرباناً لألتهم فضلاً عن نحرهم الهدى تقدمه إلى الله . وقد أشار إلى تلك الأنصاب لدى الجمرات معاوية بن زهير في قوله (٦١):

فأقسمُ بالذي قد كان ربي وأنصابُ لدى الجَمَرَاتِ مُغْرِبِ
لسوف ترون ما حسي إذا ما تبدَّلتِ الجلودُ جلودَ نمْرِ

بيد أن العرب الجاهليين على الرغم من شركهم ظلوا يعدون رمي الجمار من شعائر الحج الثابتة التي لا تتم إلا به ، يؤكد ذلك ما ورد من أن الحجاج حينما كانوا يبلغون منى ، ويذبحون هديهم يتوجهون إلى رمي الجمار لكنهم لم يكونوا يبدءون بالرمي حتى يرمي قبلهم من أجاز بهم من عرّفة والمزكفة ؛ فقد روي أنه لما كانت صوفة تجيز بالناس من عرفات لم يكن يرمي أحد منهم حتى يرمي رجل من صوفة : «فكان ذوو الحاجات المتعجلون يأتونه ، فيقولون له : قم فارم حتى نرمي معك ، فيقول : لا ، والله ، حتى تميل الشمس ، فيظل ذوو الحاجات الذين يحبون التعجل يرمونه بالحجارة ، ويستعجلونه بذلك ، ويقولون له : ويلك قم فارم ! فيأبى عليهم ، حتى إذا مسالت الشمس قام فرمى ، ورمى الناس معه» (٦٢).

ومن هنا يتبين لنا إلى أي مدى كان الحجاج يتمسكون بشعائرهم في الحج ، ويقتدون بمن يرشدهم إلى أدائها ، ولا يخرجون على شعيرة من الشعائر ، ولو دفعتهم الحاجة إلى ذلك دفعاً على نحو ما لحظناه في النص السابق .

أما كيف كان يرمي الحجاج الجمار ، وكم عدد الحصيات التي كانوا يرمون بها ، فإنه لم يردنا شيء مفصل عن ذلك ، غير أننا نرجح أن يكون الرمي منظماً تنظيمياً معيناً ، وأن يكون عدد الحصيات التي يرمى بها محدداً ، وما يساعدنا على هذا الترجيح ما وجدناه من تنظيم للإفاضة ، ومن التزام الحجيج التام بوقت

الرمي ، ومن إطاعتهم لقدوتهم في الإجازة وبدء الرجم . تلك ، فيقال ، لعمري
وقد ألم الشعر الجاهلي بذكر المَحْصَبِ والجِمارِ ، وبمشاهد الحجيج ، وهم
يهرعون إلى رمي الجمرات في تصوير ينم على اهتمام الشعراء بذلك المَشْعَرِ
وانفعالهم بأداء الحجاج لتلك الشعائر .

فمن الشعراء الذين أشاروا إلى الجمرات إشارة عامة نُقيل بن حبيب في قوله
يذكر ما كان من شأن الفيل وعدم حركته لدى الجمرات عندما أتوا به لهدم
الكعبة (٦٣) :

رُدَيْتُهُ لَو رَأَيْتَ - وَلَمْ تَرِيهِ - لَدَى جَنْبِ المَحْصَبِ مَا رَأَيْتَا

كما شبّه حاجزُ بن عوف الأزدي إقبال العدو وإغارتهم عليهم لكثرتهم
وسرعتهم بنزول حمير منى وإناختها رواحلها لدى الجمار ، وذلك في قوله (٦٤) :

فَلَمْ نَشْعِرْ بِهِمْ حَتَّى أَتَوْنَا كَحَمِيرٍ إِذْ أَنَاخَتْ بِالجِمَارِ

ولعل أبا طالب أفضل من عرض لمشهد الحجيج بالجمار ، وذلك حين
صورهم لنا وهم يحصبون جمرة العقبة بالحصى ، كما صور تجمع قبيلة كندة هناك
تأهباً للعودة إلى ديارها ، وذلك عندما قال (٦٥) :

وَبِالجِمْرَةِ الكَبْرَى إِذَا صَمَدُوا هَا يَوْمُونَ قَدْ ذَفَأَ رَأْسُهَا بِالجِنَادِلِ
وَكَنْدَةَ إِذْ هُمْ بِالحِصَابِ عَشِيَّةً تَجِيْزُ بِهِمْ حَجَّاجُ بَكْرِ بْنِ وائِلٍ

ووصف حذيفةُ بن أنس الهذلي تسابق الحجاج نحو الجمرات مشبها إدراك
فرسه خيل الأعداء بذلك التسابق (٦٦) :

لَأَدْرِكُهُمْ شُعْثَ النَّوَاصِي كَأَنَّهُمْ سَوَابِقُ حَجَّاجٍ تَوَافِي المَجْمَرَا

وضمن الشنفرى شعره ذكر الجمار وما فيه من حجاج يرفعون أصواتهم

بالدعاء والتلبية، وذلك حين افتخر بثأره من قاتل أبيه، ولم يراع في ذلك حرمة
مواقف الحج والشهر الحرام؛ لأنه زعم أن أباه قد قتل وهو محرم أيضاً^(٦٧):

قتلنا قتيلاً مهدياً بملبد جمار منى وسط الحجاج المصوت
أما امرؤ القيس فقد ألح في شعره إلى ما يكون من تفرق الحجاج بعد أن يرموا
الجمرات بالمحصب، ويأخذ كل واحد منهم إلى جهته، وذلك من خلال
تصويره فراق محبوبته وأثر ذلك في نفسه^(٦٨):

فلله عيننا من رأى من تفرق أشت وأناى من فراق المحصب
وقد استمر رمي الجمار في الإسلام، وظل من أبرز شعائر الحج، بيد أن
المسلمين خالفوا المشركين، فلم يتقيدوا بوقت الرمي لديهم؛ لأنهم كانوا لا يرمون
حتى تميل الشمس؛ إذ ورد في الحديث الشريف: «رمى النبي - ﷺ - يوم النحر
ضحى، ورمى بعد ذلك بعد الزوال»^(٦٩). كذلك فإن الإسلام حدد عدد
الحصيات وكيفية الرمي بها عند الجمرة الثلاث بما يشبه ما ورد عما كان يقوم به
إبراهيم عليه السلام.

وآية ذلك ما ورد عن الزهري من: «أن رسول الله - ﷺ - كان إذا رمى الجمرة
التي تلي مسجد منى يرميها بسبع حصيات يكبر كلما رمى بحصاة، ثم تقدم
أمامها فوقف مستقبل القبلة رافعاً يديه يدعو، وكان يطيل الوقوف، ثم يأتي
الجمرة الثانية فيرميها بسبع حصيات يكبر كلما رمى بحصاة، ثم ينحدر ذات
اليسار مما يلي الوادي، فيقف مستقبل القبلة رافعاً يديه يدعو، ثم يأتي الجمرة
عند العقبة فيرميها بسبع حصيات، يكبر عند كل حصاة، ثم ينصرف ولا يقف
عندها»^(٧٠).

. قضاء المناسك :

إذا عدنا إلى مسيرة الحجاج المشركين فإننا نجدهم حينما كانوا ينتهون من رمي الجمرات يتعجلون للعودة إلى ديارهم ، لكنهم هنا أيضا لم يكن يجوز لهم الخروج إلا بعد أن يميز الذي أجاز بهم من عرفات والمزدلفة ، والذي أعطاهم إشارة بدء رمي الجمار .

فعندما كانت صوفة تميز بالناس فإن الحجاج كانوا : « إذا فرغوا من رمي الجمار ، وأرادوا التفرُّع من منى ، أخذت صوفةُ بجانيبي العقبَة ، فحبسوا الناس ، وقال الحجاج : أجيّزي صوفةُ! فلم يجر أحد من الناس حتى يَمروا ، فإذا نفرت صوفةُ حُلِّي سبيل الناس ، فانطلقوا»^(٧١) . وقد ألم مرةُ بن خُلَيْف الفهمي بهذا المشهد في شعره موضحاً رغبته ورغبة الحجاج في الإسراع بالعودة إلى أهلهم بعد أن نحروا هديهم ، وأتموا حجَّهم ، وقضوا نسكهم^(٧٢) :

إذا ما أجازت صوفةُ النَّقْبَ من منى ولاح قَتَارُ فوقه سَفْعُ الدَّمِ
رأيت الإيابَ عاجلاً وتبعثتُ علينا دواعٍ من رَبَابٍ وكَلَمِ

ومن هذا القبيل أيضاً ما ذكره شاعر جاهلي من انتهاء الحجاج في آخر مناسكهم ، وموقفهم بمنى عشيةً ، وإسراع الإبل بهم في العودة بعد أن قضوا ما عليهم من شعائر يرجون من ورائها الأجر والمغفرة^(٧٣) :

يا ربّ ، ربّ الرّاقصاتِ عشيةً بالقومِ بين منى وبين ثبير
زُحْفُ الرّواحِ قد انقضت مناتهُم يحملن كلُّ مُبَبَّدٍ ما جورِ

إذن فإن رحلة الحج تبدأ قبل غروب شمس يوم التاسع من ذي الحجة حينما يدفع الحجاج من عرفات إلى المزدلفة حيث يبيتون هناك ليلتهم ، ويران جبل

فَرَحَ تَظَلُّ تَشْتَعَلُ مَضِيئَةٌ طَوَالَ اللَّيْلِ ، فَإِذَا مَا حَانَ الْفَجْرُ ، وَأَشْرَقَتِ الشَّمْسُ أَفَاضُوا مُنْدَفِعِينَ إِلَى مَنَى ، فَذَبَحُوا هَدِيَّتَهُمْ ، وَرَمَوْا الْجُمُرَاتِ عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ ، فَيَكُونُونَ بِذَلِكَ قَدْ أَتَوْا مَسِيرَةَ الْحَجِّ الْحَقِيقِيَّةِ ، وَذَلِكَ عَشِيَّةَ يَوْمِ الْعَاثِرِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ، وَلَا يَبْقَى لَهُمْ بَعْدَهَا إِلَّا دُخُولُ مَكَّةَ وَالطَّوَافُ بِالْبَيْتِ الْحَرَامِ ، ثُمَّ الْعَوْدَةُ إِلَى دِيَارِهِمْ ، وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَتَعَجَّلُ تِلْكَ الْعَوْدَةَ فَيَسْرِعُ بِالطَّوَافِ أَوْ يَرْحَلُ مِنْ دُونِ أَنْ يَطُوفَ بِالكَعْبَةِ الْمَشْرُفَةِ .

ويبدو أن كثيراً من الحجاج بعد قضائهم مناسك الحج كانوا يتجمعون في موسم عكاظ أو غيره فيتفاخرون بالأنساب، ويتباهون بفعال الآباء والأجداد، وبما يتحلون به من أخلاق كريمة وخصال حميدة. فلما جاء الدين الخفيف نزلت الآيات المحكمات لتنبه المسلمين إلى أن يجعلوا الله عزَّ وجلَّ في المقام الأول من الذكر، لأنه سبحانه هو المقصَّد في الحج، وهو الغاية من قضاء المناسك، وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشْكَدَّ ذِكْرًا . . . ﴾ الآية (٧٤).

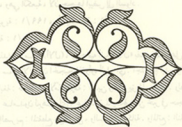
وجاء في تفسير الآية عن ابن عباس: «كان أهل الجاهلية يقفون في الموسم، فيقول الرجل منهم: كان أبي يطعم ويحمل الديات، ليس لهم ذكر غير فعال آبائهم، فأنزل الله على محمد - ﷺ - ﴿ فَاذْكُرُوا اللَّهَ ﴾ الآية (٧٥).

ولا ريب في أن مواقف الحج ومناسكه كانت ذات أثر كبير في نفوس العرب الجاهليين مما جعل شعراءهم لا يذكرونها إلا في مجال القسم والتعظيم، كما مر بنا في أكثر الأشعار التي عرضنا لها، وكما نجد ذلك واضحاً في قول الأعشى يمدح النعمان بن المنذر، فيصفه بحسن التدبير وصواب الرأي، وبعراقة النسب وكرم العنصر (٧٦):

لعمري الذي حجَّتْ قريشُ قَظِيئَهُ لقد كدَّتْهم كيدُ امرئٍ غيرِ مُسْتَدِ

وفضلاً عن ذلك فإن مظاهر الحج كانت موضع أيمانهم في حياتهم العامة، فمن ذلك أنهم كانوا يقولون: «لا، والذي نادى الحجيجُ له»، ويقسمون بالإيل التي تحمل الحاج، فيقولون: «لا، والراقصات يبطن مرّاً»، وكذلك قوهم: «لا، والذي رَقَصْنَ ببطحائه»، وقوهم: «لا، والراقصات يبطن جمع» (٧٧).

وهكذا فإن تراثنا القديم - بأشعاره ورواياته - قد أبان لنا عن مواقف المشركين في الحج، وأوضح ماكانوا يقومون به فيها من مناسك وشعائر سواء أكان ذلك في وقوفهم بعرفات، أم في إفاضتهم منها إلى المزدلفة، أم في نحرهم ورميهم الجمار بمنى، ثم في تأهبهم للطواف بالبيت الحرام والعودة إلى الديار. وقد وجدنا فيها سبق أن الدين الإسلامي قد أقر تلك المواقف وبعض مناسكها، وجعلها ركناً أساسياً في الحج، وخاصة الوقوف بعرفات، ولكن بعد أن طهرها من رجس الشرك والمشركين، وبعد أن أزال كل ما علق في الأذهان من علائق الجاهلية وأوزارها، ليبقى الدين كله خالصاً لله الواحد الأحد الفرد الصمد، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



الحواشي والتعليقات

- (١) البيان والبيان : ٩٥ / ٣ .
- (٢) معجم البلدان : مادة (عرفات) . وورد فيه أنها سميت بعرفة لأن جبرائيل عليه السلام عرف إبراهيم عليه السلام المناسك ، فلما وثقه بعرفة قال له : عرفت ؟ قال : نعم ، فسميت عرفة . وقيل : بل سميت بذلك لأن آدم وحواه تعارفا بها بعد نزولها من الجنة . وقيل : بل سميت بالصبر على ما يكابدون في الوصول إليها ، لأن العرف الصبر .
- (٣) الشعر والشعراء : ٦٨٧ / ٢ .
- (٤) تاريخ اليعقوبي : ٢٩٦ - ٢٩٧ .
- (٥) أيام العرب في الجاهلية : ص ٣٢٣ .
- (٦) قصائد جاهلية نادرة : ص ١٢٦ . وأهلوا : أي رفعوا أصواتهم بالتلبية عند الحج .
- (٧) السيرة النبوية : ٢٧٤ / ١ . والشراج : جمع شرج ، وهو مسيل الماء . والقوايل : المتضاربة .
- (٨) المحبر : ص ١١ - ١٢ .
- (٩) ديوان ابن قتيبة : ص ٢٢ .
- (١٠) السيرة النبوية : ١٩٩ / ١ . وانظر أخبار مكة : ١ / ١١٣ .
- (١١) أخبار مكة : ١ / ١١٤ ، والمحبر : ص ١٧٨ .
- (١٢) القاموس المحيط : مادة (حمس) ، وأخبار مكة : ١ / ١١١ ، والمحبر : ص ١٧٩ .
- (١٣) القاموس المحيط : مادة (حمس) ، وقد ورد في المادة نفسها . وقيل : إنهم لقبوا بذلك لانتجتهم بالحمساء ، وهي الكعبة ، لأن حجرها أبيض إلى السواد .
- (١٤) السيرة النبوية : ١٩٩ / ١ ، وأخبار مكة : ١ / ١١٩ .
- (١٥) أخبار مكة : ١ / ١١٦ .
- (١٦) معجم البلدان : مادة (ألال) ، وورد فيه أنه «ألال» بفتح الهمزة على وزن حَمَاس . وأما اشتقاقه فقيل : إنه سمي إلالاً لأن الحجيج إذا وأوه ألوا ، أي : اجتهدوا ليدركوا الموقف .
- (١٧) ديوان النابغة : ص ٥٢ . الأمة والإمة : الدين والطريق المستقيمة . ولصاف وثيرة : موضعان في بلاد بني تميم . عامدون لبرهم : أي : عامدون لما ينالهم من خير في حجهم . والأرام : جمع رثم ، وهو الظبي . والصريم : المنقطع من الرمل ، والسورة : المكاة . والماتع : النافع .
- (١٨) المصدر نفسه : ص ١٣٩ .
- (١٩) ديوان الطفيل : ص ٧٤ . وينحين : يقصدن ، والضمير يعود إلى الإبل .
- (٢٠) السيرة النبوية : ٢٧٤ / ١ .

(٤٥) ديوان ذي الإصبع : ص ٤٧ . وعذير الحمي : من يعذر، أي : هاتوا من يعذر. وحية الأرض : يقال : فلان حية الأرض، وحية الوادي، إذا كان مهيباً يذعر منه، وقيل : حية الأرض : أي : حياتها. ولم يبرح : لم يُبق.

(٤٦) السيرة النبوية : ١٢٢ / ١ . ومواليه : بنو عمه، لأنه من عدوان، وعدوان وفزارة من قيس عيلان. ويدعو جاره : أي : يدعو الله، فيقول : اللهم كن لي جاراً ممن أخافه.

(٤٧) مروج الذهب : ٣٠ / ٢ . وبجمع الأمثال : ٤١٠ / ١ .

(٤٨) القاموس المحيط : مادة (مناه)، ومعجم البلدان : مادة (منى)، وورد في المصدر الثاني : وقيل : سمي الموقف بمنى لأن آدم عليه السلام تمثى فيها الجنة . وقيل : أمنى القوم، ومنى الله الشيء : قدره، وبه سمي منى . وقيل : سمي منى لأن الكيش (الذي قُدي به إسحاق) عندما أراد إبراهيم الحليل ذبحه منى به، أي : ذبح . وقيل : أخذ من «المنابيا» وهي بلدة على فرسخ من مكة .

(٤٩) الاشتقاق : ص ٢٨٢ . وغفيرة : مغفرة .

(٥٠) الأصنام : ص ٢١ . والوجعاء : الإست . والمران : الرماح، والتقدير : طعنه مران فانتك .

(٥١) ديوان الأحمس : ص ١٢٣ . والراقصات : الإبل التي تسرع في سيرها . والمخرم : منقطع أنف الجبل .

(٥٢) ديوان طرفة : ص ١٧٠ .

(٥٣) الحماسة : ١٦٣٥ / ٤ . والهددي : من الإبل وغيرها ما يُعلم دلالة على تقدمته للنحر بمنى .

(٥٤) أدبنا العرب في الجاهلية : ص ٦٤ . وثج : سال . والمقلد : الذي عليه القلائد .

(٥٥) الحيوان : ٣٧٦ / ٥ . والعتر : الذبيحة تقدم للأصنام . والنسيك : لم أجدها، وفي القاموس المحيط : مادة (نسك) : النسيكة : الذبيحة . ولعله أراد تمييز هذا الذبح مما يقدم للأصنام الأخرى، وقد أقسم به كما أقسم بالأنصاب .

(٥٦) أخبار مكة : ٢٩ / ١ . والعقبة : موضع بمنى .

(٥٧) القاموس المحيط : مادنا (الحصبة) و(الجمرة) .

(٥٨) المصدر نفسه : مادة (الجمرة) .

(٥٩) ديوان الأحمس : ص ٤٩ .

(٦٠) أخبار مكة : ٢٩ / ١ .

(٦١) السيرة النبوية : ٣٥ / ٢ . ومُغر : جمع أمغر، وهو الأحمر، أراد أنها مطلية بالدماء . وورد في «أخبار مكة : ١٤٢ / ٢ أن عمرو بن لحي الخزاعي نصب بمنى سبعة أصنام، ووزعها على الجمرات الثلاث .

(٦٢) السيرة النبوية : ١٢٠ / ١ .

(٦٣) المصدر نفسه : ٥٣ / ١ .

(٦٤) قصائد جاهلية نادرة : ص ٧٦ .

(٦٥) السيرة النبوية : ١ / ٢٧٤ .

(٦٦) الحيوان : ١٢٩ / ٥ .

(٦٧) الفضليات : ص ١١١ . والمهدي : المحرم ساق المهدي . والملبّد : الذي لبّد شعره، من التلييد، وهو أن يأخذ الحاج شيئاً من نبات الخطمي والأس والسدر، وشيثاً من الصمغ فيجعلها في أصول شعره وعل رأسه، وذلك عند إحرامه للحج، انظر الحيوان : ٥ / ٣٣٧ .

(٦٨) ديوان امرئ القيس : ص ٤٣ .

(٦٩) صحيح البخاري : ٢ / ٢١٧ .

(٧٠) المصدر نفسه : ٢ / ٢١٩ .

(٧١) السيرة النبوية : ١ / ١٢٠ .

(٧٢) معجم الشعراء : ص ٢٩٤ . والفتار: الدخان من المطبوخ . والسفع : اللون الأسود أشرب بالأحمر.

(٧٣) الحيوان : ٥ / ٣٧٥ . زحف : جمع زحوف، وهي الناقمة المتعبة . والرواح : أي عند الرواح . ومتأنهم : جمع مئة كالقوة وزنا ومعنى، لكنها لا تناسب السياق، ولعله أراد بها جمع أمنية .

(٧٤) البقرة: الآية ٢٠٠ .

(٧٥) تفسير ابن كثير : ١ / ٢٤٣ .

(٧٦) ديوان الأعمش : ص ١٩١ . والقطين : القاطن، ويبدو أنه أراد به الكعبة المشرفة . والمستد : الدعي في قوم ليس منهم .

(٧٧) أيمان العرب في الجاهلية : ص ٢٠ - ٢١ .



المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- أخبار مكة : للأزرقى عبد الله بن أحمد (ت ٢٥٠هـ)، ط. مكة المكرمة ١٣٥٢هـ.
- أديان العرب في الجاهلية : لمحمد نعمان الجارم، ط. مصر ١٩٢٣م.
- الاشتقاق : لابن دريد محمد بن الحسن (ت ٣٢١هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، ط. بغداد ١٩٧٩م.
- الأسماء : لابن الكلبي هشام بن محمد (ت ٢٠٦هـ)، تحقيق أحمد زكي، ط. دار الكتب المصرية ١٩٢٤م.
- أيمان العرب في الجاهلية : لإبراهيم بن عبد الله النجيري (ت ٤٣٠هـ)، تحقيق محب الدين الخطيب، ط. القاهرة ١٣٤٣هـ.
- أيام العرب في الجاهلية : لمحمد أحمد جاد المولى وآخرين، ط. القاهرة ١٩٤٢م.
- البيان والتبيين : للجاحظ عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، ط. مصر ١٩٦٨م.
- تاريخ يعقوبى : لأحمد بن أبي يعقوب (ت ٢٩٢هـ)، ط. بيروت ١٩٥٥م.
- تفسير ابن كثير، تفسير القرآن العظيم : لإسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ)، ط. الباهي الحلبي، مصر.
- الحماسة : لأبي تمام حبيب بن أوس (ت ٢٣١هـ)، شرح المرزوقى أحمد بن محمد (ت ٤٢١هـ)، تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون، ط. القاهرة ١٩٥١م.
- الحيوان : للجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، ط. مصر ١٩٦٥م.
- ديوان الأعشى الكبير، ميمون بن قيس : تحقيق محمد محمد حسين، ط. القاهرة ١٩٦٠م.
- ديوان امرئ القيس : تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط. دار المعارف بمصر ١٩٨٤م.
- ديوان ذي الإصبع العدواني : تحقيق محمد العدواني ومحمد الدليمي، ط. الموصل ١٩٧٣م.
- ديوان طرفة بن العبد : تحقيق محمد علي الجندي، ط. القاهرة ١٩٥٨م.
- ديوان الطفيل الغنوي : تحقيق محمد عبد القادر محمد، ط. بيروت ١٩٦٨م.
- ديوان عمرو بن قميئة : تحقيق حسن كامل الصيرفي، ط. معهد المخطوطات العربية ١٩٦٥م.

- ديوان النابغة الذبياني: صنعة ابن السكيت (ت ٢٤٤هـ)، تحقيق شكري فيصل، ط. بيروت ١٩٦٨م.
- الروض الأنف: للسهيبي عبد الرحمن بن عبد الله (ت ٥٨١هـ)، تحقيق عبد الرحمن السوكيل، ط. القاهرة ١٩٦٧م.
- السيرة النبوية: لابن هشام عبد الملك (ت ٢١٣هـ أو ٢١٨هـ)، تحقيق السقا والأبياري وشليبي، ط. الباي الحلبي، مصر ١٩٥٥م.
- الشعر والشعراء: لابن قتيبة عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط. دار المعارف بمصر ١٩٦٦م.
- صحيح البخاري: لمحمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)، ط. مطابع الشعب، مصر ١٣٧٨هـ.
- القاموس المحيط: للفيروز آبادي (ت ٨١٦هـ)، ط. الباي الحلبي، مصر ١٩٥٢م.
- قصائد جاهلية نادرة: مختارة من مخطوط «متهى العُلم في أشعار العرب لابن ميمون بن المبارك» (من رجال القرن السادس الهجري)، تحقيق يحيى الجبوري، ط. بيروت ١٩٨٢م.
- مجمع الأمثال: للميداني أحمد بن محمد (ت ٥١٨هـ)، تحقيق محمد يحيى الدين عبد الحميد، ط. مصر ١٩٥٩م.
- المحبر: لابن حبيب محمد (ت ٢٤٥هـ)، تحقيق، إيالة ليختن شتير، ط. دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند ١٩٤٢م.
- مروج الذهب: للمسعودي علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ)، ط. بيروت ١٩٦٥م.
- معجم البلدان: لياقوت شهاب الدين الحموي (ت ٦٢٦هـ)، ط. بيروت ١٩٥٥م.
- معجم الشعراء: للمرزباني محمد بن عمران (ت ٣٨٤هـ)، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، ط. مصر ١٩٦٠م.
- الفضليات: اختيار الفضل الضبي (ت ١٧٨هـ)، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، ط. القاهرة ١٩٦٨م.